

جولة فى ربوع السودان

لفضيلة العارف بالله تعالى

سىدى الشىخ / محمد الحافظ التجانى المصرى

من شوال سنة ١٣٧٤ هـ الموافق مايو سنة ١٩٥٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم .
أخى الخليفة الفاضل الشيخ رضوان محمد حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
نزلنا بدار الأخ الخير المرحوم الشيخ موسى زين العابدين بارك الله فى آله وذويه ، ثم سافرنا
من أم درمان إلى الأبيض بالقطار يوم ١٩ شوال ١٣٧٤ هـ فوصلنا الساعة ٩ يوم الجمعة مساء ،
وقد التقينا قبل ذلك ببعض أصحاب الشيخ فى محطات : أبى عشر ، ومدنى ، والحاج عبد الله ،
وسنار ، وكوستى ، وتندلتى ، وودعشانا ، وأم روابة ، والرهد .

نزلنا بالأبيض بدار مولانا الشريف الحاج محمد طه التجانى وهى مؤئل التجانيين ، وكأنه
والد وأخ للوفود من أهل الطريقة وغيرهم ، ولد بالتممة التابعة لشندى بالسودان وكان والده
شاذلياً وجده كان تجانياً وهو معاصر لسيدى محمد بن المختار ، ولد سنة ١٣٠٤ هجرية ،
والسبب فى أخذه الطريقة أنه كان يحضر على الشيخ محمد الخير الدوش فى الزاوية التجانية
بالمتممة وكان يقرأ بها القرآن والعلم وتقام بها الأذكار والصلوات ، وكان يجب أن يأخذ الطريقة
الختمية ، وكان الشيخ محمد الخير يقول له : لا بد أن تأخذ طريقة الشيخ سيدى أحمد التجانى ،
فقال لشيخه : إن شاء الله قد عزمت على أن آخذ الطريقة ولكننى إن شاء الله سأخذها من
الشيخ ألفا هاشم فى المدينة لأننى نويت الحج ، فقال له : خذ الطريقة هنا ثم جدد عن الشيخ
ألفا هاشم ، وفى هذه السنة حجوا ورجعوا من مكة ولم يسافروا للمدينة فصار كلما اجتمع مع
الشيخ طلب منه أن يأخذ الطريقة ، ولكنه يقول له : إننى سأرجع لآخذ من الشيخ ألفا هاشم ،
وكانت هذه الحجة سنة ١٣٣٧ هـ وعادوا إلى السودان فى أوائل سنة ١٣٣٨ هجرية .

ثم جاء مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان يقام فى المسجد بالتممة فأعطاه الشيخ
محمد أحمد ولد الفكى محمد وهو عمه أخو والده هدية ليقدمها للشيخ وكان جالساً مع جماعة
فى رحبة المسجد فاستأذنه أن يكون معه فى المسجد ثم سلمه الهدية التى أرسلها عمه فقبلها ،

وكان قد صمم فى نفسه أن الشيخ إذا طلب منه أن يأخذ الطريقة أجابه إلى طلبه ، فقال له :
اليوم يوم طيب خذ الطريق ، فقال له : نعم ، وتشرف يوماً بسلوك طريقة الشيخ سيدى أحمد
التجاني رضى الله عنه .

ثم توفى الشيخ فى شهر ذى القعدة من هذه السنة ، ثم سافر إلى الحج سنة ١٣٣٨ هجرية
والتقى بسيدنا الشيخ ألفا هاشم وجدد عنه الطريق وهو عالم الحرمين الولى التقى الذى ورث
الأدب النبوى وحمل الشرع المحمدى ، ووالده سيدى أحمد بن سعيد الفتوى وهو أكبر من أخيه
الإمام المجاهد أمير المؤمنين عالم السلاطين وسلطان العلماء فى عصره سيدى الحاج عمر بن
سعيد الفتوى ، والشيخ ألفا هاشم أخوه التجاني قائد جيوش سيدى الحاج عمر بن سعيد فى
حياته وهو الأمير الذى قهر أعداء الشريعة بعد وفاة عمه وأقام الشرع الشريف وعلت كلمة
الإسلام مدة إمارته .

وقد تولى مولانا الشيخ ألفا هاشم وظيفة الإفتاء فى الدولة التجانية فى عهد أمير المؤمنين
أحمد بن عمه الحاج عمر بن سعيد الفتوى وجاهد معه الفرنسيين فى عدوانهم على السودان
الغربى وجاهد الإنجليز فى نيجيريا رضى الله عنه ، وتوفى بالمدينة المنورة مهاجراً مجاهداً ، وحج
المترجم بعد ذلك عام ٣٩ هجرية والتقى بالحاج عثمان محمد صالح مقدم الطريقة التجانية بأمر
رواية وقد أخذ الطريقة عن مولانا الشيخ ألفا هاشم برؤيا سالحة وهو من الصالحين ، وصحب
الشريف الحاج محمد طه سيدى محمد الغالى .

وقد ذهب به وهو صغير خاله على إبراهيم عمر تلميذ الشيخ موسى الأحمدي وكان سنه نحو
عشرين سنة للشيخ موسى الأحمدي وكان مفتوحاً عليه فقال له : مين قال لك جيب ده ؟ وكان
ذلك إشارة لكون مدده فى غير طريقته ، وانتقل إلى الأبيض فى صفر سنة ٢٥ هجرية وتزوج
ثمانية من النساء .

ومن أصحابه الفكى هارون الفلاتى وكان يزوره فى الدكان وكان سنه ١٥٢ سنة وقال له :
ثمانين سنة ما نمت إلا جالساً ، وكان يقول له : أنت تغسلنى لما أموت ، وكان يستبعد ذلك ،
وكان يصوم الثلاثة أشهر والاثنين والخميس ويجيئه ماشياً من حلة فلاته وهى نحو اثنين كيلو ،
فلما توفى جاءه الإخوان وأخبروه بوفاته فركبوا ومعهم الشيخ حجازى فجلسوا مع الإخوان
وهو يفكر فى كلامه له ولم يخبر أحداً ، وإذا بجماعة جاءوه وقالوا له : قم غسل الشيخ ، فلم
يتردد وقام وغسله وكانت كرامة له ، والجماعة أمروه أن يصلى عليه ففعل .

وقد من الله عليه بالحج نحواً من خمس حججات فى زمن الشريف سنة ٣٧ هجرية فى زمن
ابن السعود ، ولا يزال يوالى الحج مع بعض أهله وأولاده ، وقد أسس الزاوية التجانية فى
الأبيض مع الإخوان التجانيين بعد عودته من زيارة بيت المقدس سنة ١٣٥٣ هـ ، أبقاه الله
ووقاه سوء ، آمين .

وفى الصباح سافرنا إلى الفاشر غرب السودان - وهى المنطقة الشاقة فى الرحلة - فوصلنا
الفاشر قبيل الظهر ، واجتمعنا بأحبابنا بها ونزلنا بدار المرحوم الحاج بدوى زين العابدين ، وفى
منتصف الليل بدأنا رحلتنا ولا تقطع إلا بالسيارات ، والطريق وعر وقليل فى وصفه أنه غير
معبد ، ولم نستطع أن ننام فى الأبيض ، ولم نتم فى الفاشر غير ساعة ، ووصلنا الملم فى صلاة
الصبح ونزلنا عند الأخ جابر ولد الملك مصطفى جلغام واسترحنا قليلاً والتقينا ببعض أحبابنا ،
والعمدة آدم مكى ، والفكى آدم منصور إمام المسجد وأذناه بالتقديم .

ثم سافرنا إلى كيلة ومنها إلى جبل مرة ، وطريق جبل مرة من أشق الطرق ، وقد كنا نسير فى
جبال شقت فيها مسارب على فطرتها ما بين حجارة وحفر ومصاعد ومهابط ، وتحف الطريق
وهدات عميقة قريبة من ممر العربات ، ولا بد أن نجتاز ودياناً جارية بعضها يسهل اجتيازه
وبعضها يشق اجتيازه ، وحمدنا الله حيث لم يكن المطر غزيراً ، وإلا حال بيننا وبين الوصول .

قمنا من الملم الساعة ٩ صباحاً ووصلنا الساعة ٦ قبيل الغروب إلى إحدى القمم فى تلك الجبال يقال لها سونى وصلينا بها المغرب وبتنا تلك الليلة باستراحتها وكانت معدة للإنجليز لا يصلها أحد إلا بإذن منهم ، واجتمعنا ببعض إخواننا التجانية هناك وتولى العناية بنا الأخ عبد المولى وهو مقدم فى الطريقة ، وهناك الحدائق الوارفة الظلال فيها الفواكه المختلفة كالمانجو والبرتقال والبرقوق وفيها الزهور الفياحة والأشجار الخضراء والينابيع الباردة الصافية تنبثق ما بين الأحجار فى تلك الجبال العالية ويبلغ بعضها ١٠٥٣٣ قدماً ، وما أجمل هذه البقاع التى تصارع لبنان وفلسطين وسط الحر الشديد فى ربوع السودان .

بتنا ليلة لا حر فيها وخرير الماء متواصل ، وماؤها صاف كأنه ماء مقطر وأصحاب السيارات يستغنون فى بطارياتهم به عن الماء المقطر ، ولا تعرف ربوع سونى الصيف ، ويعيش أهلها فى جنة فى الدنيا ، وقد اختارها الإنجليز ونظموها وزرعوها وجعلوها متنزهاً يلجأون إليه عندما يمرضهم^(١) الحر القاسى والقيظ اللافح والسموم المضنى ، ومنعوا أهل البلاد عن أن يصلوها إلا من أرادوا ، وقد أعاد الله للمسلمين ما اغتصبه الظالمون ، وأصبحنا بحمد الله وقد قرأنا أورادنا فى تلك الجنة ، وزودنا إخواننا بأنواع من الفواكه ، ورأينا شجر البن الذى زرعه الإنجليز فى تلك الرياض وقد نجحت زراعته وورثه إخواننا أهل السودان والله الحمد .

ثم انتقلنا إلى منزل الشرتاى إبراهيم بارا التجانى بن الشرتاى عبد الله ، والاصطلاح هنا أن زعيم القبيلة يدعى عمدة ويرأس جماعة من العمدة شرتاى ، فأقمنا عنده ساعات ، وأخبرنا قائد سيارتنا بأنه يحتاج إلى شئ من البنزين فأخذ صفيحة من الشرتاى وعدنا فى طريقنا ، وقمنا الساعة السابعة والنصف صباحاً من سونى وقمنا من بيت الشرتاى الساعة العاشرة والنصف وصلينا الظهر بجوار شرك الأسد حيث يصطادون السباع ، ثم وصلنا كيلة فصلينا بها العصر بعد وقته الأول .

١ - يؤلمهم .

ثم سافرنا إلى كاس وهطلت علينا الأمطار فى الطريق متواصلة ولم تعق سيرنا ، ووصلنا كاس عند الغروب ونزلنا بدار الشرتاى منصور عبد القادر التجانى وعنوانه مركز نيالا شرتاى منطقة كاس ، ولقينا الفكى ضحية مقدم إحدى الزوايا فى كاس ، وكنا لقينا فى الزيارة الماضية القاضى آدم حبيب التجانى ولكنه كان غائبا فى هذه المرة ، والتقينا بالشيخ محمد شئت وأصلها شيت وهو أخو الشيخ محمد نور شئت الأكبر الذى نشر الطريقة فى تلك البلاد .

وقمنا الساعة العاشرة نقصد زالنجى وكنا نسابق المطر خشية أن تمتلئ الوديان فتحول بيننا وبين البلاد التى نؤمها ، وصلينا الظهر بجلة نورما وقيلنا تحت الشجر خارج الحلة ، ثم صلينا العصر فى أول وادى أزوم ، ووصلنا زالنجى الساعة السادسة ونصف مساء ونزلنا بدار الشيخ محمد الزين حمودة وهو تجانى وأصله من الفاشر ، وكنا نزلنا فى زيارتنا السابقة بدار الحاج مكى أبو زيد الختمى وألفيناه بالفاشر فى هذه المرة ، وزالنجى مركز وبتنا بها ليلة .

ثم سافرنا الساعة التاسعة إلى كركلا وكان الطريق أفسدته الأمطار وتعطلت سيارتنا فى الطريق ، أما السيارة الأخرى فلم تتعطل ونزلنا لإصلاح سيارتنا فأصلحت نوعاً ثم دفعها بعض أهل البلاد دفعاً فسارت ، ثم وصلنا الوادى فى المنعرج الثانى وفيه الماء يجرى فقطعته سيارتنا وأمسك الطين السيارة الأخرى ، وعملنا كل جهد لإخراجها من الماء لأنه يخشى أن يزيد الماء فيغمرها فلم يتمكن وكان لابد من حبال قوية ورجال كثيرين يتعاونون على إخراج السيارة من الماء ، فسرنا فى السيارة الأولى إلى أن وصلنا منزل الشرتاى أرباب أحمد شطه التجانى وهو رجل عاقل ، وتعاون الإخوان بالأشجار والأحجار حتى خرجت السيارة من وادى أزوم ومكثنا عنده إلى ما بعد العصر ، وجدد قوم الإذن وأخذ قوم الطريق كذلك ، ثم سافرنا قبل الغروب متوكلين على الله وكان همنا أن نقطع أزوم فى مختلف منعرجاته وهى خمسة : الأول عند خروجنا من زالنجى ، والثانى قبل كركلا ، والثالث بعد كركلا وقطعناه بعد هذه الثلاثة مرتين .

ولقد لقينا بعض إخواننا فى الطريق ، وأخبرنى قائد سيارتنا أن السيارة لا يمكن أن نسير بها ليلاً لأن بطارياتها غير سليمة والطريق وعرة وفيها حفر وغدران ومرتفعات ووديان ، فبتنا بسلو بمنزل الطبيب عبد القادر القاضى إدريس وأصله من الفاشر ، وهذه البلدة عندما جئنا من الجنية فى الرحلة السابقة خرجنا من مورنى بعد الجنية فصب علينا المطر بصورة مريعة وكنا نخوض فى الماء بالسيارة والمطر يصب صباً وكنا نسير على غير معرفة للطريق وإذا بنا بعد نصف الليل بساعتين ندخل سلو فبتنا ليلتنا فى مدرسة بها .

أما فى هذه المرة فقد نزلنا فى منزل أحد إخواننا عبد القادر المذكور ، ثم سافرنا إلى مورنى وجددنا السير حتى وصلنا إلى ماقرنى ووقفت السيارة بنا وحاولنا بكل الوسائل أن نسيرها فلم تسر ، وكانت الحلة على مسافة منا فعزمنا أن نذهب إليها لعلنا نجد من نستأجره ليخبر إخواننا بالجنية ، فسرت مع رفيقنا الحاج مجذوب عبد الله والحاج محمد صالح وكان معنا فى الحج ويعرفكم جيداً وسألنا عن أهل الحلة فدلونا على المسجد وهو قوائم من فروع الشجر ربط عليها بعض الفروع ثم وضع عليها سقف من قصب الدخن ولا حوائط حوله وعلى هذا فهو خال من جميع جهاته ، وسألنا عن رجال الحلة فأخبرنا أنهم غائبون ، وجاءنا رجل فسلم علينا اسمه عبد الكريم واعتذر لنا أنه ليس من أهل هذا الموضع وإنما جاء لزيارة صديق له كفيف البصر اسمه بلال وهو رجل فقير من أهل الطريقة التجانية ولا زوجة له ولا ولد ، فقال لى الحاج محمد : وأى داع لوجودنا هنا وبلال الكفيف لا يصنع شيئاً ورجال الحلة غائبون فخير لنا أن نرجع إلى مكاننا عند السيارة وننتظر فلعلنا نجد أحداً من عرب المسيرية ويسكن بعضهم فى حلة قريبة من موضعنا يؤجر لنا بغيراً أو جواداً يسير عليه واحد منا إلى الجنية ، فقلت له : ولم لا نلتقى ببلال ؟ ونرجو أن يكون من إخواننا الصادقين فتحصل لنا بركته .

وجاءنا رجل من عرب المسيرية وتعهد لنا بالسفر إلى الجنية ومسافتها ٢٥ كيلو وأعطيناه ثلاثين قرشاً كما طلب ، وجاء بلال فرحاً مسروراً فقال : أنا رجل فقير ولكنى أخوكم فى الله

ولا يمكن أن تذهبوا من غير أن تزوروا بيتي ، والتجاني لأخيه هو الحبيب لحبيه فالحمد لله الذى رزقنى الاجتماع بكم ، وسيدى أحمد التجانى أمر تلاميذه إذا حلوا ببلد أن يبحثوا عن إخوانهم فإنهم قد جمعت بينهم المحبة فى الله .

وآنسنا فى بلال الصدق والتقوى والصلاح والصفاء فى المحبة وهى محور الأخوة فى الله ، ونزل المطر فالتجأنا إلى كوخ بلال ولا يملك من الدنيا إلا جرة بها الماء وسكين يستعملها إذا احتاج إليها وسريراً قديماً من خشب ربط بجبال وحصيراً من الخوص ، وذهب ثم عاد لنا بدجاجة وقال : هذا جهدى ويا ليتنى أملك ما أقدمه لكم ونحن جميعاً شئ واحد ولا كلفة بين الأخ وأخيه ، وأرسلنا عبد الكريم ليأتى بعشاء لنا من السيارة وشيئاً من اللبن والسكر والقهوة والشاي ، فذهب وجاء بهذه الأشياء وكان المطر هطالاً ولم يبال بالمطر ، ولم أستطع العشاء فشربت بعض اللبن ثم قمنا .

وقام بلال قبل الفجر يتهجّد ويستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ، وعندما وجب الوقت صلى النافلة ، بأى شئ عرف الوقت ؟ بنور قذفه الله فى قلبه ، ثم جلس ينتظر صلاة الفريضة وصلينا الصبح وقرأنا الأوراد وكان الطقس جميلاً ، وجاء الشيخ سيدى محمد بن سيدى محمد سنموى فشرّب الشاي معنا ، وطلب عبد الكريم الطريقة ، وجاءنا رجل له طريق اسمه عبد السلام فشرح لنا شيئاً مما يعتقدّه بعض الناس وقال : هم أحوالى وأنا لا أستطيع أن أردّهم ، وأخذ عبد الكريم الطريق ثم الإمام ، وجدد الطريق قوم آخرون ، وحضر إخوان الجنية الشيخ أبو القاسم إبراهيم المقدم ، والشيخ إبراهيم شمو ، والشريف كرار زين العابدين ومعهم بعض السادة من أهل الطريق ومن عدة طرق وأحضر لنا إمام المسجد دجاجة هدية لنا فقبلناها وشويت مع دجاجة بلال ، ثم جاء جمع من أهل كركلا وقد تابوا عن المريسة^(٢) وقالوا : الخمرة تانى ما نشربها .

وحاول إخواننا بالجينية أن يصلحوا السيارة فلم يمكنهم وجروها بالسيارة الأخرى فلم يأت ذلك بنتيجة ، وطلبنا من قائد السيارة أن يسير معنا إلى الجينية حتى ينظر بنفسه ما يصلح به سيارتنا لأنه أعلم بما فيها ، واتفق الرأى أن يجرسها رجلان من إخواننا ويذهب معنا الأخ أحمد حسين قائدها ، واختاروا لها مكاناً ظليلاً تحت شجرة وربطت بالسيارة الأخرى لتسحبها إلى الظل وركبنا وما هي إلا هنيهة وإذا بالسيارة المتعطللة أصلحت بنفسها وسارت وحدها لا بأس عليها وسبقتنا إلى طريق الجينية ، وأدركنا أثرها وقد تركت الطريق وعرجت إلى يمين الغابة وسرنا وإذا بهم قد اصطادوا بعض الطيور والغزلان وجاءوا إلينا وهم فى غاية من الفرح ، ثم التقينا بوفد من الجينية على بعد نحو ستة آلاف متر ومعهم عرباتهم وقد نزلنا تحت شجر ظليل حتى استرحنا قليلاً ثم استأنفنا السير حتى وصلنا الجينية بعون الله وبركته يوم الجمعة ١٧ مايو الموافق ٢٧ شوال ، والجينية عروس الحدود ولها من اسمها نصيب ، وأرسلنا فى طلب بطارية أخرى ووصلتنا يوم الثلاثاء وألقينا الدرس بالمسجد .

وحضرنا ذكر الجمعة بالزاوية وألقينا فيها درساً وفى اليوم التالى ألقينا الدرس بالمسجد وكذلك ليلة الاثنين وألقينا الدرس ليلة الثلاثاء بالمنزل ، وقد اختار إخواننا لنا النزول بدار الحاج صالح أبو اليمن وهو رجل صالح .

شئ عن دار المساليت

سكان المساليت قبائل متفرقة وكانت كل قبيلة يرأسها فرشة أو شرتاى ويتعاونون مع سلاطين الفور ، وعند دخول الحكومة التركية السابقة طلبوا الفكى إسماعيل عبد النبى وأصله من خزيمه قبيلة عربية ولكنهم اختلطوا مع القبائل غير العربية وتعلموا لغتهم وهم يتكلمون العربية واللغة الأخرى ، ونظراً لاشتغاله بالتعليم رفض الرئاسة فتولى عنه هجام فرتاك المسلاتى من قبيلة مسترن سلطاناً بدار المساليت لمدة ٤ سنوات وذهب الفكى إسماعيل إلى أم درمان وذلك فى زمن المهديه ، وعند رجوعه اجتمعت عليه الناس وأراد قبض هجام ففر إلى أم درمان

إلى أن مات هناك فتولى السيد إسماعيل عبد النبي سلطاناً بدار المساليت لمدة ٤ سنوات فأنشأ التعليم وعمر المساجد ، وفي عام ١٣٠٥ هـ زمن الخليفة عبد الله طلبه الأمير عثمان جانو بالفاشر ومنها إلى أم درمان إلى أن توفى هناك إلى رحمة مولاه ودفن بالموردة بشاطئ النيل .

فتولى من بعده ابنه أبو بكر إسماعيل سلطاناً بدار المساليت لمدة ١٨ سنة ، وفي السنة الثانية من ولايته هاجمه الأمير عثمان جانو ونزل بجيشه في كرك شرق الجنية بمسافة ساعتين فمرض عثمان جانو وأعيد إلى الفاشر فتوفى بالطريق ودفن بالفاشر .

ثم هاجمه السلطان إسحاق أبو ريشه الداجاوى تبع دار سلا والآن تبع فرنسا وأقام بجيشه بدار المساليت لمدة ٣ شهور فبعث إليه السلطان يوسف شريف البرقاوى مندوبه عقيد المحاميد محمد بشارة وأمره بالخروج عن دار المساليت .

وفي يوم ١ ربيع الأول عام ١٣٢٣ هـ هجمت جيوش السلطان علي دينار الفوراوى على السلطان أبو بكر بقيادة آدم على ومحمود دادنقاوى فانهمت جيوش السلطان أبو بكر نتيجة خيانة الوزير حسن كنجى الداجاوى ، وقد أسر السلطان أبو بكر وأرسل إلى السلطان علي بالفاشر وذلك في غياب أخيه تاج الدين إسماعيل فأقامت جيوش السلطان علي بدار المساليت لمدة ٤ شهور .

وفي يوم ٢٧ رجب هجم تاج الدين علي جيوش الفور وحاربهم بحلة قلانه جنوب مركز أدرى وهى الآن تبع فرنسا وهزمهم جميعاً وخرجوا عن دار المساليت في يوم واحد وتولى تاج الدين سلطاناً بدار المساليت .

ثم رجعت جيوش السلطان علي دينار بقيادة قمر الدين عبد الباقي وآدم علي فحاربهم تاج الدين بحلة كجكجى شرق الجنية في يوم ١ شوال عام ١٣٢٣ هـ فانهمت جيوش السلطان علي بقتل القائد قمر الدين ، فغضب السلطان علي وأمر بقتل السلطان أبو بكر إسماعيل ومن معه من الأسرى .

وفى عام ١٣٢٥ هـ أرسل السلطان علي دينار شيخاً يدعى عبد النبي الحاج إبراهيم إلى السلطان تاج الدين بمدينة درجيل وكانت العاصمة قبل الجينية فوقع الصلح بينهما .

ثم اعتدى عليه الفرنسيون بعد أن استولوا على أبشة فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٧ هـ ، وحاربهم تاج الدين فى يوم ٢٣ الحجة ١٣٢٧ هـ بكرندن وادى كجه شرق الجينية ، وقد هُزم جيش الفرنسيين وقتل قائدهم الكابتن فيجنشون واغتنموا منهم أسلحة وذخائر .

ثم اعتدى عليه الفرنسيون ثانياً بقيادة الكولونيل مول وحاربهم تاج الدين فى يوم ٧ ذى القعدة الموافق ٩ / ١١ / ١٩١٠ م بدورتى شرق الجينية وجنوب درجيل وانهزمت جيوش الفرنسيين وقتل مول ، واشتغل الناس فى أخذ الغنائم فانقلب النصر هزيمة بقتل السلطان تاج الدين بواسطة كمين اختبأوا تحت الأشجار فنال الشهادة فى سبيل الله ، وكانت مدة ولايته ٥ سنوات وستة شهور ، وهو قائد الجيش وهو إمامهم الذى يصلى بهم ويجبونه من قرار قلوبهم ، وكان من وقت نشأته لا يترك قراءة القرآن يوماً وكلما ختم أعاد ، يحب الفقراء ويكرم أهل الفضل ، ويوقر الكبير ويعطف ويحنو على الصغير وإذا كان فى الطريق وسلم عليه صبى صغير يجلس فى الأرض ويسلم عليه ، وكان كله حنان ورحمة وعدل ، ومدة حكمه كان هو الإمام الذى يصلى بالناس فى الفصول الأربعة لا يتخلف عن الصلاة فى حر ولا برد ، وهو رجل عالم والعلماء جلساؤه ومستشاروه وكان يقرأ معهم التفسير ، وكان ملازماً لقراءة الجلالين وأسباب النزول مع الشيخ أمبد من قبيلة كجاكسا ، وكان الأمير شجاعاً كريماً ذا حياء وافر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يحبه الكبير والصغير .

ثم تولى من بعده ابن أخيه الأمير بحر الدين أبو بكر سلطاناً فعاوده الفرنسيون وحاربهم فى يوم ١١ القعدة ١٣٢٨ هـ بعكرى ثم فى يوم ١٥ محرم ١٣٢٩ هـ بهييله ، ثم رجع الفرنسيون إلى أبشة ، وفى عام ١٢٣٠ هـ حصل الصلح ما بين الفرنسيين والسلطان بحر الدين وتنازل لهم عن جزء من دار المساليت التى تقع غرب وادى أسنجاوكجه وهو مركز أدرى الآن .

وفى شهر رجب سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٥ / ٥ / ١٩١٦ م استولت الحكومة المصرية على
الفاشر ، وفى عام ١٣٣٦ هـ الموافق ١٩١٨ م عقد السلطان بجر الدين صلحاً مع الإنجليز
ونزلت جيوشهم بالكريتك وادى بارى شرق الجنية ، وفى عام ١٩١٩ م عقدت إنجلترا وفرنسا
معاهدة واعتبرت كل دار المساليت ماعدا الجزء الذى ضمه السلطان بجر الدين لفرنسا ضمن
حدود السودان ، وفى آخر سنة ١٩٢١ م انتقلت الجيوش من كربنك إلى الجنية .

وبعد دخول الجيوش المصرية الخرطوم بسنة أو سنتين وتولى السلطان تاج الدين جاء الفقيه
محمد المختار بن على من أرض أبشة من برنو وجاء بالطريقة التجانية وبدأت تنتشر ، وكان قد
جاء قبله الحاج نوح وهو عالم حافظ صالح نشرها داخل العاصمة .

ولما تولى السلطان بجر الدين جاء الفقيه آدم بن محمد الزقزقى من أرض زاريا فى طريقه إلى
الحج فأقام سنتين ما بين درجيل والجنية ، وممن قدم من أرض أبشة الفقيه عبد الحق بن
السوسى فأخذ منه السلطان محمد بجر الدين الطريقة التجانية المشرفة ثم اتسع انتشار الطريقة
فى العاصمة وما حولها ، وقد توفى الأمير بجر الدين أبو بكر لرحمة مولاه ظهر يوم الأربعاء ١٨
رجب سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٥ / ٤ / ١٩٥١ م الساعة ٤ ومدة خلافته ٣١ سنة و٨ شهور ، ثم
تولى ابنه الأمير عبد الرحمن بجر الدين السلطنة ضحوة يوم الخميس ١٦ رجب سنة ١٣٧٦ هـ
الموافق ٣ / ٥ / ١٩٥١ م .

والفكى إسماعيل عبد النبى هو قريشى من خزيمية وخرج أجداده من أرض مصر زمن
خلافة بنى أمية بطريق الجزائر ومنه إلى هذه البلدة ، وتلقى العلم بالجامع الأزهر الشريف ثم
هاجر إلى يروه تبع مدجرى دار برنو وتعلم فيها الأسرار وكثيراً من العلوم .

زارنا المعتمد والسلطان عبد الرحمن بن الأمير بجر الدين سلطان الجنية عاصمة دار المساليت
وزارنا الأمير محمد ابن المرحوم صديقنا السلطان بجر الدين ، ووصلت البرقية من وزارة
الداخلية ليسهلوا لنا سفرنا إلى أبشة إذا رغبنا فى السفر إليها ، ولكن الوقت قد ضاق ورأيت

أننا إن سافرنا إلى أبشة سنضطر إلى السفر إلى فورت لامي والأمطار قرب وقت هطولها ويتسبب عنها انقطاع الطرق في سبيلنا ، فأرسلنا إلى إخواننا بأبشة وذكرنا لهم أعذارنا ، وسافرنا من الجنية يوم الثلاثاء ٢١ مايو أول ذى القعدة وسلمناهم بعض الكتب لسلطان كانوا واتفقوا على أن توضع المكتبة التي اخترتها لتكون نواة لمكتبة جامعة إن شاء الله تعالى بالجنية تحت رقابة قاضى الجنية الشيخ عبد المالك بن علي ، وودعنا إخواننا بعد الجنية بمسافة ثم ودعناهم ورجعوا .

ثم سرنا في طريقنا الشاق الذي لا يوجد له نظير في المشقة إلا جبل مرة ويوجد به مكان يقال له : برم برم ، كم كسرت به سيارات وكم عطلت وقد أفسدته الأمطار ، وكان همنا أن نقطع هذا المكان نهاراً ، ومكان آخر بعد بركة سايره وهذه الطريق تكثر بها الوحوش من السباع والنمور والضباع وقد لقينا أحدها ظهراً ثم اختفى ، ووصلنا بركة سايره وسألنا أهلها فذكروا لنا أن الأفضل أن نسير حتى نقطع وادى المحبس أمام بركة سايره وقطعه به خطورة وعرضه أكثر من ألفى متر ، وصلينا المغرب بعد أن قطعناه والله الحمد ، وكان المغرب قد مضى منه وقت .

ثم واصلنا السير حتى وصلنا كبكية بعد الساعة الحادية عشر مساء الثلاثاء ، قطعنا المسافة وقدرها ١٢٠ ميلاً في اثنتي عشرة ساعة ونصف ، ونزلنا بدار الأخ أبو حسين آدم محاسب الإدارة الأهلية بكبكية ، وقد اجتمعنا بالدكتور محمد صالح على وهو من الفاشر وقد التقينا به من قبل في سنة ٥٣ في بارة وهو أحد مقدمى الطريقة ، وعبد الماجد أحمد زيدان وهو من الفاشر وتاجر بكبكية ، والشريف إسماعيل قاضى كبكية وهو ختمي الطريقة وولده بشير تجانى ، وألقينا بكبكية درساً ليلة الخميس بالمسجد ، وجاء حسن أفندى إدريس مفتش الأبحاث الزراعية يوم الخميس وكان في سيارتنا عطل في إحدى العجلات فأصلحه وسافرنا إلى كتم ، فتعطلت سيارتنا في الطريق وسبقت السيارة الأخرى إلى فتا برنو أى جبل برنو وبها الحاج

حسن أحمد صهر الشيخ سيدى محمد ، وكان كثيراً من إخواننا التجانيين ينتظروننا بها ولما تأخرنا عادوا إلى كتم ، وكان معهم المقدم يوسف شريف التجانى وهو رئيس الإدارة الأهلية بمركز كتم ، وكانت السيارة الواقفة بنا تنتظر السيارة الأخرى وراءنا وكان بها عطل أصلحوه حتى وصلوا إلينا فاشتركوا فى إصلاح سيارتنا .

ثم وصلنا فتا برنو ومكثنا بها حتى شربنا القهوة ثم سرنا إلى كتم فنزلنا بدار المقدم يوسف شريف ، ومن أمره مع الإنجليز أنهم أقاموه رئيساً على الشرتايات - رؤساء العمدة فى مختلف البلاد وفى المركز - شمال مديرية دارفور ، وكان الإنجليز من عاداتهم مع سابقه أن يتدبوا أحدهم عند اختلاف القبائل ويأمره بأن يأتى بالمتشاجرين مسلسلين ويستعمل معهم العنف ، فإذا جاءوا إلى المفتش يبحث قضاياهم ثم يحلهم ويستعمل معهم منتهى الرأفة ، فإذا عادوا إلى بلادهم يشيدون برأفة الإنجليز ورحمة الإنجليز وعدل الإنجليز ، ويسرفون فى ذم رؤسائهم من الوطنيين ، ومن لم يستعمل العنف من المقدمين وأصلح بين القبائل ولم يأت بأحد من المتشاجرين رموه بالضعف ، فكان المقدم يوسف يأتى بالمتشاجرين إلى داره فى مركز الرئاسة ويكرمهم ويوفق بينهم ويقول للمفتش : جئت بالمتشاجرين إليك لترى فيهم رأيك إن أمرت تدخلهم السجن فها هم أولاء عندى وإن أردت أن تصلح بينهم فلا بأس ، فيضطر المفتش وقد صار أمام الأمر الواقع أن يقول له : أصلح بينهم ، وينفق إيراده كله على التوفيق بين البلاد التابعة له وعلى من يمت إليه بصلة وعلى ضيفانه فهو رجل ذكى وله تجارب فى الحياة كونت له الفكر والرأى مع محبته لله وخشيته له ، وقد ألقى الله حبه فى قلوب أهل الخير ، وهو الآن رئيس شمال دارفور وله مع الإنجليز مواقف وقد بذلوا معه كل جهدهم فلم تلتن له قناة .

وقد صلينا الجمعة بمسجد كتم وألقينا به الدرس وقرأنا ذكر الجمعة بالزاوية ، وكان مفتش كتم الأخ محبوب كرم الله ووالده بابكر كرم الله من الفاشر والمأمور الجمرى قد زارنا وطلب منا أن نشرب الشاى عند المفتش فأجبنا الدعوة ومضينا إلى دار المفتش ، ولقينا هناك القاضى

الشرعى وألقينا محاضرة بمنزله حضرها أهل الشأن فى البلدة ، وأخذ الطريقة بعد الدرس رئيس حسابات البلدية وكان معنا الشيخ هلال عبد الله ناظر قبيلة جلول وهو تجانى ممتاز وعددهم نحو ستين ألفاً .

وسأل سائل : هل يكرم الله الولى بعد وفاته ؟ فأجبتة : نعم كما كان يكرمه فى حياته ، فقال : أليس فى الحديث أنه قد انقطع عمله ؟ فأجبتة : ولكن عمل الله فى إكرامه لم ينقطع ، وإن كان الولى يخلق كرامة نفسه فقد انتقل من دار الدنيا ، وإن كان ربه الذى يخلقها له فى حياته فالله حى لا يموت والله على كل شىء قدير ، فسأل : أذلك أصل فى الكتاب والسنة ؟ فأجبتة : نعم أما الكتاب فقوله تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا)^(٣) ، انظر معنى : (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) ، وهذا قول الحق عز وجل من لم يؤمن به فهو كافر خارج عن الإسلام ، وأما السنة فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحِجْيٍ مِنْ هُدَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ ، فَأَقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ نَزَوْدُوهُ مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرٌ يَثْرِبَ . فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُّوهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَبُوا إِلَى فَدَنْدٍ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ ، فَقَالُوا لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا . فَقَالَ عَاصِمٌ أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ . فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالتَّبَلِ ، وَبَقِيَ خَبِيبٌ ، وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا . فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا هَذَا أَوَّلُ الْعُدْرِ . فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ

٣ - سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاقْتَلُوهُ ، وَانْطَلَقُوا بِخَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ ، فَاشْتَرَى خَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ ، وَكَانَ خَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتَلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ اسْتَحْدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، قَالَتْ فَعَقَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزَعْتُ فَزَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمَوْتُقٌ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقَ رَزَقَهُ اللَّهُ ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ ، لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ ، لَزِدْتُمْ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرُّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قَالَ :

مَا أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَيَّ أَوْصَالَ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عَقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَاقْتَلَهُ ، وَبَعَثَ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظْمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَّتَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ^(٤) .

سافرنا من كتم الساعة الحادية عشر صباحاً إلى مليط وصلناها الساعة الخامسة وأربعين دقيقة ومسافة الطريق تسعون ميلاً ، ونزلنا بمنزل الشيخ حامد أحمد حامد من رفاة وهو من أقرباء الحاج محمد علي سليمان رئيس بوسنة الأبيض وهطلت الأمطار بعد وصولنا بعشرة دقائق ، ومن لقينا الحاج مصطفى محمد مصطفى الشنتيطي وهو من تلاميذ الشيخ تراد صاحب الطريقة

٤ - صحيح أخرجه البخاري في باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل ، وباب غزوة الرجيع ورغل وذكوان .

المعروفة بالمغرب بشنقيط ، وقرأنا الدرس بالمسجد فى الضحى ، وزرنا الشرتاى أحمد اى آدم تميم وأمر أن يدق النحاس الذى يدقونه عند الحرب وعند مهام الأمور ، وله نظام ، عند الحرب يثير روح الحماس إلى درجة تفقد الإنسان وعيه ويغلى الدم فى جميع جسده ولا يبالى أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، ثم ودعنا إخواننا وزرنا شيخ الطريقة العارف الكامل الشيخ سنموى ومعناها سمي السيد أى محمد ويدعوه الناس الشيخ محمد سلموى فيجعلون النون لاماً .

الحاج محمد سنموى رحمه الله ابن الفقيه محمد فادغ بن أحمد الزروق بن محمد فادغ ابن الإمام محمد بن محمود بن محمد الأمين بن محمود بن عمر ، ومحمد بن عمر هو الذى انتقل من شنقيط متوجهاً إلى المشرق ونزل فى مدينة جنى وتزوج بنت سلطانها ، وولد الحاج محمد سنموى ببلدة جنى بأرض ماسنا وقرأ على خاله الإمام محمد الهادى وتفقه عليه وأخذ عنه علوم الأسرار ، وسافر بقصد الحج ونزل بدار برنو وكان إذا نفذ ما معه من النقود نسخ القرآن وأكل من ثمن نسخه .

ثم سافر إلى أبشة ووجد السلطان يوسف محاصراً بجنود المهديّة وأميرهم عثمان جانو ، فطلب السلطان من الحاج محمد سنموى أن يدخل الخلوة ويسأل الله أن ينجيه من عثمان جانو ، وجمع السلطان العلماء وقال لهم : أنتم علماء الدين إن كان هذا الرجل هو المهدي حقاً فإننا نتبعه ، فأجابوه أنه ليس بالمهدي الخاص الذى وردت فيه الأحاديث ولكنه رجل يدعو إلى الهدى ، فأرسل السلطان إلى عثمان جانو وطلب منه أن يرجع عن بلاده فأبى ، فتجهز بجيشه للقاءه وطلب من الفقهاء الدعاء ، ودخل الشيخ محمد سنموى الخلوة فى شعبان وبعد مرور مدة من شعبان رأى رؤيا أن أرض برقو كلها فى حصن من نحاس وجاء قوم بجزاة الأمير عثمان جانو وقالوا له : إنه مات وتفرق جيشه بداء يقال له أبو دم : الإلتهاب السخاعى .

فأخبر السلطان يوسف بذلك ، فقال له : فى بلادنا علماء وصالحون فكيف رأيت ولم يروا ؟ إذا تحققت رؤياك فإننى أملا جيبك مالاً حتى ينشق ثوبك ، ثم جاء الخبر بذلك ووفى السلطان بوعده ، ثم سافر قاصداً الحج مع قافلة السلطان إلى السادة السنوسية ثم سافر عن طريق مصر وحج وزار وأراد الإقامة بالمدينة المنورة إلى الممات ، وانعقدت بينه وبين الشريف حسين هاشم رئيس المدينة المنورة إذ ذاك الصحبة والإخوة فى الله وطلب من الشريف أن يأذن له بالاعتكاف سبعة أيام لا يخرج من الحرم فأذن له ، وكان يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح ، ورأى النبى صلى الله عليه وسلم وأشار له إشارة أولها الشريف حسين هاشم بالإذن له بالسفر .

ووقع له السفر بعد ذلك إلى عاصمة الخلافة ونزل بدار الشيخ محمد ظافر المدنى ، والتقى بالسلطان عبد الحميد ووجده يصنع شيئاً من الذهب والفضة وقيل له : إنه كان يأكل من عمل يده ، وكتب له السلطان بطاقة وأعطاهها له وأوصى بأن يكرم حيث حل .

ثم عاد إلى مصر وتوجه منها إلى فاس ، ووجد سيدى العربى بن السائح فى زيارة سيدنا الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ، وأخبر سيدى العربى رضى الله عنه أصحابه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه سيقدم عليكم رجل من الحج فأقرئه السلام ، وكذلك الشيخ رضى الله عنه ، فأرسل من يبحث عنه حتى جاءوا به فقال له : إن النبى صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام وكذلك الشيخ وإن الطريقة التجانية منهما إليك ، وكتب له بخطه بسنده عن سيدى الحاج على التماسينى عن الشيخ رضى الله عنه ، ثم أخبره سيدى العربى أنه رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأذن له بالسفر ، وكذلك الشيخ .

وأراد قوم اغتياله فى الطريق فجاءه إنسان لا يعرفه فأنقذه منهم ، ووصل توات ومنها إلى تمبكتو وعاد إلى جنى وتزوج بوالدة ولده سيدى محمد وهذا اسمه ، وبعد سنين وصل الكفار الفرنسيون إلى جنى بعد أن دافع المسلمون ما استطاعوا ، وأناب أهلها الشيخ سنموى فى عقد

صلح بينهم وبين الفرنسيين ، فأرى قائد النصارى بطاقة السلطان عبد الحميد فأقر الصلح ، وكان النصارى يتعجبون حينما يرون الذكر فى بيته يجتمع له مئات .

ثم هاجر بأهله وعطشوا فى الطريق ولم يجدوا ماء فصلى صلاة الاستسقاء ودعا الله فصب عليهم المطر بإذن الله عز وجل ، ولقى فى الطريق شدائد أنجاه الله منها حتى وصل إلى دارفور فرحب به السلطان علي دينار واعتقد فيه الخير والبركة وكان يستشيريه فى حروبه ويتتصر كتما اتبع مشورته ، وطلب السفر للحجاز فأبى السلطان أن يتركه ، وكان والد الإمام عبد الماجد شاذلى الطريق فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره بأخذ الطريق عن رجل يأتى من المغرب يلتقى به فى مكان عينه له النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان يصلى المغرب كل ليلة فى ذلك المكان حتى التقى بالشيخ محمد سيموى فى ذلك المكان بعينه بعد أسبوع وأخذ عنه الطريق وانتشرت الطريقة على يده فى الفاشر وما حولها .

وكان الشريف أحمد كرار موجوداً فى الفاشر قبل ذلك وله أتباع كثيرون فجدد الطريقة عن الشيخ هو وتلاميذه وهذا دليل على أن الشريف من ذوى المنازل العالية والأسرار الطاهرة ، ثم وقع بينه وبين السلطان علي دينار خلاف بسبب آدم رجال ، وكان قائداً مبرزاً ممن يعتمد عليهم السلطان فى حروبه وهو تلميذ من تلاميذ الشيخ سيموى ، فسعى قوم بين السلطان وبين آدم رجال بعد أن أرسله فى حرب مكث فيها سنتين ثم عاد منتصراً مع أن السلطان كان كلما أرسل جيشاً فى هذه الناحية هُزم .

ورأى الشيخ فى الرؤيا أن السلطان يطلب آدم رجال والشيخ يراجعه ، فقال له : تصدق بكذا وكذا فإنى رأيت رؤيا عسى الله أن ينجيك بالصدقة ، ولكنه لم يفعل ، وسمع السلطان للوشاية الكاذبة وقتل آدم رجال وحزن الشيخ على قتل ذلك الرجل ظلماً ، فأراد السلطان قتل الشيخ فجاءوا به إلى شجرة يسمونها شرك الموت ما جاءوا بأحد عندها إلا قتل ، وأشار العلماء على السلطان بترك الشيخ فأبى وتحاماه الناس لا يسلمون عليه إلا الإمام عبد الماجد ، ورأى

الشيخ سيدى أحمد التجانى وقال له : لا بأس عليك ، فأخبر من معه ، وفى حينها جاءه من يخبره بأن السلطان عفا عنه وطلب منه أن يحلف على كتاب الله أن لا يدعو على السلطان ولا يسعى فى ضرره ، وذهب الجفء الذى كان بينه وبين السلطان علي دينار ، وطلب الشيخ من السلطان حين اقتربت الجيوش بقيادة الإنجليز من دارفور أن يتصدق من كل صنف عنده بزوجين وأن يخرج لله صدقات سرأ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء)) ، وقال : ((صدقة السر تطفى غضب الرب)) ، وأن الله يدفع ما شاء من البلاء بالصدقة ، فقال له السلطان : إني فى كل يوم أتصدق .

ودخل الإنجليز الفاشر وقتل السلطان ، وخرج الشيخ مهاجراً بأهله إلى الحج وسلك الطريق التى بها الماء حتى وصل إلى مليط فأدركه الموت وهو يتجهز للسفر إلى الحجاز فوق أجره على الله عز وجل .

وبعد أن زرنا شيخ الطريقة العارف الكامل سيدى الشيخ محمد سنموى - سمي السيد - بمليط بإقليم دارفور بغرب السودان ، وهو خليفة من خلفاء سيدى العربى بن السائح وتوفى سنة ١٣٣٧ هجرية وسنه سبع وستون سنة ، سافرنا إلى الفاشر فوصلناها الساعة الثانية بعد الظهر ، ونزلنا بدار الرجل الفاضل الصالح الحاج بدوى زين العابدين مقدم الطريقة التجانية ، وولد حوالى سنة ١٢٩٩ هـ ونسبته إلى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ووالدته أخذت الطريقة عن الأدبية الفقيهه الشاعرة السيدة خديجة الشنقيطية الملقبة بالقارعة لأنها تفرع خصوم الحق بالحجة شعراً ونثراً ، ولها رد حكيم على خصوم الطريقة طبع بمصر وتوفيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام ، وأخذ الحاج بدوى الطريقة من الشريف أحمد كرار فى شهر رمضان سنة ١٣٣٢ هـ وقد تحقق منه أن الله عز وجل قد أثار بصيرته وكاشفه ببواطن الأمور على قدر ما بنور الله عز وجل ، وأجداد الشيخ بدوى زين العابدين وجداته من الصالحين وأولاده مثال الأدب العالى مع والدهم ، وقد بارك الله له ولله الحمد .

وزرنا بعض الأحاب ومنهم المقدم العلامة الشيخ حسن سالم بزاووته والشريف محمد الأمين كرار العالم الأزهرى وهو إمام المسجد الكبير والمدرس به ومقدم الطريقة التجانية ووالده هو الشريف أحمد بن الشريف كرار بن الشريف شَمَى وأصلهم من البياضية بمكة المكرمة ، وانتقلوا إلى أسيوط بالقطر المصرى ، وكان لهم أرض بها وقصور بيعت فى أيام المهديّة بواسطة الخبير علي بك ، ونسبهم يتصل بسيدنا الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشريف شَمَى هو أول من جاء منهم إلى السودان واستوطن كوبي فى الجنوب الغربى من الفاشر وبينهما ساعة بالسيارة ، وكانت هذه البلدة مركزاً تجارياً هاماً وكانت التجارة متصلة بينها وبين القطر المصرى ، وهى أول درب الأربعين إلى أسيوط .

وحين قدم من مصر كان معه خمسة أولاد ذكوراً وإناثاً ، وتزوج الحاج بدوى زين العابدين الشفيح بنتاً أم أمها إحدى بنات الشريف أحمد كرار ورزق منها بولده الشيخ على بدوى زين العابدين وأشقائه ، وتزوج الشريف شَمَى نساء ورزق من إحداهن الشريف كرار والد الشريف أحمد الذى ولد فى كوبي عام ١٢٥٩ هـ ، وكان الشريف أحمد فى حياته يذكر أنه سيعيش تسعة وسبعين سنة ، وقد سبق فى الإرادة الإلهية أن يعيش هذا القدر وتوفى سنة ١٣٣٩ هـ ، وتلقى العلوم بكوبي وأبى شنقة فى الجنوب الشرقى للفاشر وفى الفاشر ، ورحل إلى الأزهر الشريف فدرس فيه وأخذ عن الشيخ عليش وحج بيت الله الحرام وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتلقى الطريقة التجانية والخلافة فى الحرم المدنى الشريف عن العلامة العارف بالله الشيخ أحمد ابن مصطفى البدرأوى وكان مستوطناً بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقد أخذ عن سيدى البشير عن سيدى الطاهر أبى طيبة خليفة الشيخ رضى الله عنه وذكر أنه عمر وخدم الشيخ سيدى أحمد التجانى مدة ووقعت المصاهرة بينه وبين دار شيخنا رضى الله عنه وترجمته فى كشف الحجاب لسيدى الحاج أحمد سكيرج رحمه الله تعالى ورضى عنه وكان ذلك قبل المهديّة .

ومن شيوخه فى العلم الشيخ محمد البدوى بأبى شنقة والشيخ الأحمير كان يقطن جنوب
الفاشر وكانت كوى مكتظة بالعلم والعلماء ومن بينهم عالم يقال له الشيخ سعد كان يلقب
لعظم علمه فىقال فىه إنه الأزهر الشريف .

وكان يشتغل بالتجارة بطريق الأربعين فى السن والريش والحرير ثم ترك التجارة وتجرد
للعلم والعبادة وإرشاد الخلق ، وكان لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يهاب الحكام ، وكان لا
يقر له قرار إذا رأى أى مخاصمة بين إخوانه فى الطريق حتى يصلح بينهما .

وكان المقدوم شريف أبو المقدوم يوسف وهو رئيس على كتم وما حولها يحس بألم فى ظهره
فضربه الشريف أحمد كرار على ظهره ثم عاد فضربه مرة أخرى فمنعه بعض التلاميذ من ضربه
فقال لهم المقدوم شريف : اتركوه فقد كان ظهري مريضاً فبرأ .

وكان يشتد فى وعظ السلطان على دينار وكان لا يأكل طعامه ويقول له : طعامك حرام ،
وكان السلطان على دينار لا يستطيع أحد معارضته ، ولما جاءت الحملة المصرية إلى الفاشر
أرسل له السلطان ليدعو له ، فقال لهم : إذا استطعتم أن تجربوه بما أمركم به دعوت له ، أن
يلتزم الشرع فى زواجه فإن بعض الناس يقدم له بعض الحرائر على أنهم إماء ، وعليه أن ينوى
نصرة الإسلام بإقامة الحكم على أساس كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن
يفرق ما بداره للمسلمين ويرد مظالم المظلومين ، ويزوج بناته البالغات ولا يتركن انتظاراً لمجئ
أمير لخطبتهن لأنه من الكبر والظلم هن ، ويفك أسر المسجونين ظلماً ، ويفرق الكتب التى
عنده ولا يكتم العلم ، فلم يستطيعوا أن يبلغوه .

وكان يلزم الاحتفال ببلوغ الشيخ مرتبة الكتبية فى ليلة ١٨ صفر ، وكذلك كان يتصدق
ليلة وفاة الشيخ رضى الله عنه ١٧ شوال ، ووقع بعير لأحد تلاميذه فى الطريق فانكسر ،
فتوسل إلى الله عز وجل بمحبته للشريف أحمد كرار قائلاً : رضى الله عنك يا ابن الأغر اللهم
أسعفنا ببركة ابن الأغر ، فقام الجمل برحاله ووصل إلى موضعه ثم ذبحوا الجمل فوجدوا فى
رجله مسماراً من الحديد .

ومما وقع للشيخ بدوى زين العابدين معه أنه ضاقت به الحالة المالية فتوجه إلى الله بصلاة الفاتح ليوسع الله رزقه وكان ذلك بعد العصر وقبل أن يتم مائة شعر بضيق فى نفسه وغلبه النعاس ، وعندما التقى بالشريف قال له : ذكر صلاة الفاتح مرة واحدة خير من الدنيا وما فيها ، وكرر العمل مراراً فيحصل له نفس الحال ويقابل الشريف ويقول له نفس قوله ، فعدل عن طلب الدنيا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يطلب شيئاً ولما لقي الشريف دعا له بخير ولم يقل له القول الذى قاله من قبل .

وكان له مع السلطان علي دينار مواقف جليلة وكرامات شهيرة وحفظه الله من أن يتصرف فيه بشئ مع شدة بطشه وسفكه للدماء ، وكانت له معه مصادمات عنيفة ، وقال الشيخ بدوى زين العابدين : إنه لم يكن للشريف أحمد كرار مثيل فى مكارم الأخلاق فإن الأوصاف المنعوتة فى الكتب للأولياء والصالحين تنطبق عليه .

ومن أولاده الشريف عبد الرحمن كرار وقد اجتمعت به فى المدينة المنورة ، ولما توفى الشريف عبد الرحمن رثاه تلاميذه بقصائد رائعة ومن تلاميذه الإمام عبد الماجد إبراهيم الذى كان إماماً للسلطان علي دينار ، وقد رثاه الإمام عبد الماجد بقصائد وهو ممن نشر الطريقة بعده بالفاشر وما حولها ، ومن أولاده صديقكم وصديقنا الشريف محمد الأمين كرار إمام مسجد الفاشر والمدرس العلامة الأديب حفظه الله وأطال حياته الكريمة وله أخوات ، وقد مدح الشيخ عبد العزيز الدباغ الشريف أحمد كرار فى حياته ، وكان لا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً مع رفعة نفسه وعلمه ولم يمنعه إقبال الناس عليه وأخذ الطريق عنه وكثرة أتباعه من أن يجدد إذن الطريق عن الولى الصالح الشيخ سنموى كما أمر أتباعه أن يجددوا عليه ، وقد رثاه الشيخ يوسف محمد علي القاضى الطيب الجريفى المدرس بمدرسة الفاشر وأرخ وفاته فى الشطر الأخير من المرثية وهى :

الخطب جم والتصبر نافر والدمع عاص ما ألح الزاجر
لا تسألا عما تكن جوانحى من فرط حزن ناء منه الفاشر

لما طوت جسد الشريف يد البلا
دارت بي الأرض الفضاء وأرعدت
قد دك من صرح لآل محمد
واستوحش الدين الحنيف وأهله
وتغيرت حال البلاد لفقده
أسفي عليك وهل يرد لأسف
يا راحلاً عنا وفي آماقنا
ثم في جوار الله في دار البقا
واجن الذي كسبت يداك من التقى
هذا أبو العباس حول ضريحه
لقدم نفتحته وقررة عينه
والحور في فردوسه ازدانت له
قد كنت تسهر للعبادة والصلاة
وتغيب عن هذا الوجود مشاهداً
ناصحت أنت وسيف دينار على
تنهى وتأمروا والجموع مصيخة
لم تأل جهداً في النصيحة مفرداً
تبغى رضى الرحمن حتى نلته
لهفى على هذى المحاسن أودعت
صبراً وتسليماً لما فعل القضا

وحوته من تلك الفلاة مقابر
منى الفرائص واستحار الناظر
حبل أشم وغاض بجر زاخر
وبكى مع الذكر الحكيم الذاكر
واستعبر البادى وضج الحاضر
من غيبته عن العيون حفائر
دمع ملح كالغوادى ماطر
وانظر لربك إن وجهك ناظر
فلقد رجحت ونعم أنت التاجر
جذل كما لقي الأياب مسافر
تلميذه الزاكى به يتفاخر
وتبرجت وأتت إليه تناثر
بليل طول نام فيه الساهر
ملكوت رب بالعناية ناظر
رأس النصيح بجفنه يتقاطر
والقوم خرس والوجوه بواسر
فى حين لم يك للحقيقة ناصر
لم يئن عزمك فى الديانة خاطر
جوف الرغام وبان عنها الحافر
علم اليقين لكل أمر آخر

إن شئت تاريخ الوفاة فناديا أواه يا شرق أصيب الفاشر

١٣ ٦١١ ١٠٣ ٦١٢ ١٣٣٩

أقمنا بالفاشر ليلة الإثنين والثلاثاء ثم أخذنا الحقن للحج وأخذها معنا الشيخ محمد بن الشيخ سنموى وهو خليفة والده ، وزرنا بعض أحبابنا ومنهم العلامة الشيخ حسن سالم والفقيه أبو حجر وأقمنا ليلة الأربعاء ، ثم سافرنا سالكين طريق نبالا الساعة التاسعة صباحاً ، ومررنا بجملة مناواشى ولقينا بها الأخ محمد مختار وهو رجل متفقه فى دينه وفى الطريق ، وطلب التقديم فأذناه به ، ثم واصلنا السير فلقيتنا الأمطار وقد سالت الوديان بها وغمرت السيول الطرق والسهول ، وسرنا فى غمار المياه وكانت الأرض رملية لم تمنع سير العربات ، فوصلنا نبالا الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، وكانت الأحباب اتفقوا على أن ننزل بدار المقدم عبد الرحمن آدم رجال - والمقدم رئيس يحكم عدة رؤساء وكل رئيس يتبعه جمع من العمدة - وهو رئيس اللجنة التجانية بنبالا ، وقرأنا الدرس فى داره فى تلك الليلة .

وفى الصباح زارنا مفتش نبالا بشير أفندى الواقع وهو من رفاة ودعانا إلى منزله ، وكذلك العلامة الجليل الشيخ نجيب السنوسى وكذلك الأستاذ الشفيح بن صديقنا الحاج بدوى زين العابدين الرجل الحكيم الهادئ ، وقد زرناهم جميعاً وقرأنا الدرس بالمسجد العام ، وجدد الطريقة من جدد وأخذ الطريقة من كتبها الله له .

اجتمعنا بكثير من الفضلاء فى نبالا وهى مركز ممتاز ، وكان ممن جدد الطريقة الشريف حسب الكريم وهو من مقدمى الطريقة من قبل ، ومن أخذ الطريقة الأخ محمد أفندى عبد الله الترابى ناظر مدرسة نبالا ، وزارنا القومندان محمد إدريس عبد الله القاضى إدريس قاضى الفاشر وهو قومندان الجيش ، والشيخ إبراهيم خليل شريك الأخ الصادق أحمد الطاهر القلب ، والأخ مصباح إبراهيم التجانى ، والشرتاى موسى أبو القادري ، والخليفة محمد نور خليفة خلفاء الطريقة الختمية ، والخليفة محمد بابكر العربى ، وتذاكرنا مع العلماء والأدباء بنبالا ومنهم

العلامة الفاضل الشيخ محمد النجيب بن السنوسى بن يعقوب بن إدريس وجده إدريس ولى كبير اجتمع فيه العلم والولاية ، وأخبرنى الشيخ محمد النجيب أن الشيخ إدريس أخذ عنه الإنس والجن وكان يقول لهم : الجن لا يمازح ، النار لا تلاعب .

ولد الشيخ النجيب فى ٨ الحجة سنة ١٢٩٤ هـ بترجم وهو اسم للقبيلة والقرية وهى قرية كبيرة وبها أولياء كثيرون ، ودرس العلم من فقه وتفسير وحديث ولغة وتوحيد وغيرها عن والده وأخيه عبد الحق وأخيه محمد بهرام ، وأخذ المصافحة عن أخيه الشيخ عبد الحق وهو أخذها فى مكة المشرفة سنة ٢٢ هجرية بالمسجد الحرام ، وأخذ الطريقة التجانية سنة ١٥ عربى بترجم عن والده عن الشيخ سعد عن الشيخ محمود التونسى عن سيدى إبراهيم الرياحى عن الشيخ رضى الله عنه ، وفى سنة ٢١ عربى أعطاه التقديم وأطلق له فى الإذن والتقديم يقدم من يشاء كما يشاء ، وأخذ عن أخيه عبد الحق محمد السنوسى عن الشيخ ألفا هاشم .

والتقى مع الشيخ ألفا هاشم سنة ٢٥ هجرية بأبشة ولم يأخذ عنه يومها ولكنه أخذ عنه سنة ٤٠ هجرية فى المدينة المنورة وقد سافر من بلده فى تلك السنة بنية الحج والزيارة والتقى به .

وسافر إلى القصارف بالسودان وأم درمان سنة ٥٦ هـ وأراد الرجوع إلى بلده حتى وصل نيالا وبقي فيها منذ سنة ٥٦ هـ وكتب إليه أخوه : إن لم تدعك ضرورة لا ترد إلينا ، وكان والده يعقوب يشافه الشيخ رضى الله عنه وقد سافر إلى فاس وتونس .

وذكر عن أخيه عبد الحق أنه قال : كنا نحضر على أحد المشايخ من بلاد المغرب من دكاله فى الحرم المكى فتوسخت ملابسى فمشيت إلى باب الخيزران ودعوت ربي اللهم إنك تعلم أن ثوبى توسخ ، ورقدت فمسنى رجل وأنا نائم فأيقظنى وقال لى : أنت عبد الحق السنوسى ؟ فقلت له : نعم ، فقال لى : خذ الثلاث جنيهات هذه وعندى ابنة مصروعة صار لها شهر ونحب من فضلك أن تداويها بإذن الله بما علمك من حكمة ، فرقيتها برقية خاصة سندننا فيها عن والدى وهو عن والده عن الشيخ سعد الدين الفلانى ، وقرأ الجوهرة اثنتى عشرة مرة فشفاه الله عز وجل بفضله تبارك وتعالى ، قال : وقد رويت ذلك عن أخى عبد الحق .

والشيخ عبد الحق وصل الجنينة عام ٣١ عربى وأعطى الطريقة فيها وأما والدى فتوفى بقرية
ترجم فى أبشة مدفون بالمسجد ، وأما سند الشيخ عبد العزيز أبو غرة فهو عن سيدى محمد
الغالى ، وروى الشيخ النجيب عن الشيخ ألفا هاشم قال : كل ما تلقاه سيدى محمد الحبيب فى
الباطن عن والده وفى الظاهر عن سيدى الحاج على .

ثم سافرنا الساعة العاشرة صباحاً فى طريقنا إلى الضعين وسار معنا أحبابنا وأصدقائنا إلى
بضع كيلومترات فى توديعنا جزاهم الله خير الجزاء ونذكر منهم المقدم عبد الرحمن آدم رجال
حاكم نيالا ، والشريف حسب الكريم ، والشريف سليمان علي ، والأخ محمد عبد الله بجيت ،
وخالد إبراهيم ، وموسى الزين مدنى أخو خضر الزين الذى فى الغبشة ، وأحمد الشعرانى ،
ومحمد سيدى أبكر ، والحاج أصيل أحمد ، والشيخ عبد الله عبد الجبار ، والخليفة سالم موسى ،
والشيخ محمد أحمد النور شيخ القادرية بنيالا ، والسيد بدوى ، والسيد موسى شيخ الطريقة
الإسماعيلية وجده السيد إسماعيل الولى الكردفانى ولولده رسالة فى الرد على بعض
المعترضين على الطريقة التجانية ، ومن الأنصار الحاج عبد الرحمن ، والحاج أحمد عبد الله ، ومن
طريقة سيدى أحمد البدوى الشيخ محمود ، والشيخ الحسن الحاج عثمان ، وصحبنا إلى الضعين
الأخ أحمد محمد الزيلعى سكرتير اللجنة التجانية بنيالا ، ومررنا بوادى يمتلى عند اشتداد أمطار
الخريف وكان لا يزال جافاً ، ثم مضينا فى غابات متتابعة من الأشجار الكثيفة وأخبرنا
أصدقائنا أن هذه البقعة يكثر فيها السباع والوحوش وكان معنا السلاح الكافى وكذلك من
بالسيارة التى قامت بعد قيامنا ، ومازالت أغصان الأشجار تصطدم بالسيارة وقد ملئ الكثير من
الأرض بالماء والطين وكان السائق يبحث عن الطريق الأصلية ويسير بصورة قوس حتى يرجع
إلى الموضع الجاف فى الطريق وكثيراً ما كان يصل إلى أرض يرى أنه لا يستطيع أن يجتازها فيعود
بنا ويلتمس طريقاً أخرى إلى أن وصلنا المهاجرية ولحقتنا السيارة الثانية وصلينا الظهر ثم العصر
وسافرنا على بركة الله فى تلك الغابات ، وكان الأخ مجذوب عبد الله قد اصطاد شيئاً من البط

ويسمى بالسودان أوزين ، وصلينا المغرب بعيد " كليلى أب سلامة " وهى سوق وسلامة الذى تنسب إليه هذه الجهة هو جد المعالية التابعين للرزىقات .

ووصلتنا السيارة الثانية ثم تقدمتنا إلى الضعين ووصلنا الساعة التاسعة إلا ربعاً ونزلنا بدار الناظر الهمام الشيخ إبراهيم موسى مادبو وهو زعيم قبائل الرزىقات ، ولقينا الأخ الشيخ عبد الحميد موسى مادبو وغيرهما من أماجد قبيلة الرزىقات ، والقاضى الشيخ على بدوى ، والشريف أحمد الشنقى إمام المسجد ، والأخ الدكتور عبد الرحيم ، والشيخ عباس إبراهيم من أم درمان ويقطن بالضعين ، وأبى الناظر الشيخ إبراهيم موسى إلا أن نمكث لديهم ثلاثة أيام .

ثم وصلنا السير إلى أبو كارنكا وصلينا بها الظهر ، ثم المزروب وصلينا بها العصر ، ثم مررنا بناحية الشرفاء ووصلنا غبيش وتسمى جريان فى الساعة العاشرة ونصف مساءً ونزلنا بدار الشرتاى محمد عبد الله وهو سمانى الطريق ، وجاءنا إخواننا التجانيون عنده وقضينا معهم الليلة والصبح ثم سافرنا الساعة الخامسة والنصف مساءً ، ونزلنا بالطريق صلينا المغرب ودخلنا الأضيّة الساعة الثامنة والنصف ، وكان إخواننا بالأضيّة يريدون أن يقيموا زاوية على النظام الحديث غير الزاوية القديمة واختلفت آراؤهم فى ذلك فوقفنا الله عز وجل لإزالة ذلك الخلاف وزرنا الزاوية القديمة وشيخها الشيخ آدم حماد كما زرنا موضع الزاوية الجديدة ، وكان الأخ أحمد آدم فى بلدة أخرى ونزلنا بمنزل أعدده لنا أحبانا بالأضيّة ، ووالينا المذاكرة والدراسة طول الليل .

ثم سافرنا من الأضيّة الساعة الثانية عشرة ظهراً واضطررنا للنزول بالطريق لإصلاح إحدى عجلات السيارة فصادفنا ثعباناً قتلناه ، ثم واصلنا السير ووصلنا النهود الساعة الرابعة ونزلنا بدار الشيخ محمد عبد الرحمن الحضيرى واجتمعنا بالعلامة الفاضل الشيخ كرسى ، والشيخ عباس على ، والشيخ عمر ، والشيخ عبد الحق وقد ذكر لى تاريخ والده فقال : الشيخ يعقوب ابن إدريس بن محمد عبد الرحمن بن بشير بن عبد الله بن عثمان وهو من التراجمة بالسودان نشأ

فى حلة ترجم ، وكان جدنا إدريس عالماً ومدرساً للقرآن ، ويعقوب أخذ عن أبيه القرآن مع شقيقه محمد الوالى تلميذ الشيخ إبراهيم الباجورى ، ولما جاء الشيخ الباجورى من الحج لقيه تلاميذه وأخذ بزمام بغلة الشيخ الباجورى فوضع الشيخ الباجورى يده على رأسه فمزال يحس ببرودتها فى قلبه إلى أن مات ، وجدنا يعقوب أخذ العلم من الغرب فى برنو وفلاته .

والشيخ أحمد والدى أخذ عن جدى أولاً ثم هاجر إلى دار يرنو فأخذ عن بعض العلماء منهم الشيخ الجزولى ومن مشايخه أنجكو مامى والشيخ علي من علماء أبشة ، ودرس هناك العربية ثم سافر إلى سكتو واجتمع ببعض علماء الفلاته ومنهم الشيخ ألفا هاشم ، ثم سافر إلى تونس عن طريق الصحراء ودرس فى جامع الزيتون أربع سنوات وأخذ عن بعض أولاد سيدى إبراهيم الرياحي شيخ الزاوية بتونس إذ ذاك ، ثم سافر إلى الأزهر فأخذ عن الشيخ حسونة النواوى والشيخ سليم البشرى وغيرهما وأخذ التوحيد عن الشيخ سليم البشرى والشيخ محمد حسنين والشيخ السمالوطى والشيخ زقيم والشيخ الرفاعى ومكث نحو سبع سنوات فى الأزهر ، ثم سافر إلى الحجاز ومكث به خمس سنوات وكان يدرس ويتعلم ومن أخذ عنهم الشيخ شعيب ، ثم سافر إلى جدة واشترك فى تأسيس مدرسة الفلاح بجدة واستمر ست سنوات بالحجاز .

ثم سافر إليه شقيقه محمد يعقوب ف جاء به إلى السودان فبقى فى أم درمان نحو ستة أشهر ، ولقى الشيخ أحمد البدوى والشيخ عيسى واد دوليب ولقى علماء بربر آل هاشم وغيرهم ، ثم جاء إلى النهود سنة ١٣٢٧ هـ فى طريقه إلى الغرب وتعلق به طلبة العلم بالنهود وأعيانها وطلبوا منه أن يكون إماماً لهم ومدرساً لتعليمهم فبقى بها إلى أن توفى سنة ١٣٦٨ هجرية وسنه ٨٦ عاماً ، وترك أربعة ذكور الشيخ محمد الكبير وهو إمام المسجد والشيخ عبد الحق المدرس بالنهود والشيخ يعقوب والشيخ محمد الوالى وترك من الإناث سبعا .

وأول أخذه للطريق عن يعقوب والده ووالده أخذ عن الشيخ سعد الدين وقد جال الشيخ سعد الدين بالسودان ومر بآل دواليب وأعطى الطريق بأحاء السودان وأخذ عنه كثيرون ومنهم الفقيه محمد ولد الحاج حمد بإقليم بربر وفى وادى بشارة ففتح على كثير من تلاميذه فى ليلة

واحدة وذكر ذلك الشيخ ألفا هاشم ، أما الشيخ عبد الحق فقد أخذ عن عمه الشيخ محمد عن والده يعقوب .

ذكرنا من قبل سفرنا من الأضيّة ووصلنا إلى بلدة أبي زبد من بلاد كردفان ونزلنا فى دار الأخ الفاضل خبير أحمد خبير .

وبدأنا بزيارة الولي الكامل الشريف حسين بن عمر بن محمد بن عبد الله ، وعبد الله هذا هو أول من قدم من أجداد الشريف حسين من مكة المكرمة إلى بلدة كوبي من بلاد دارفور .
وولد الشريف حسين بكوبي وتعلم القرآن بها عن الشيخ محمد نحلّه ، وأخذ التوحيد والفقه عن الشيخ عبده بجملة جبل الحلة ، ثم مال بفطرته إلى التصوف فأخذ الطريقة التجانية عن سيدي محمد بن المختار صاحب الواردات عن سيدي محمد السقاف عن سيدنا ومولانا الشيخ الأكبر سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه وعنا به ، آمين .

ثم ساح ومر فى سياحته بمصر والشام وكثير من البلدان الشرقية ، وحج إلى البيت الشريف سبع مرات وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد إلى السودان وتقابل مع الشيخ الواصل العارف الربانى الخليفة محمد واد دوليب وصحبه وانتفع بصحبته واستوطن أم هجليج بكردفان وتزوج من قبيلة الشويحات ورزق أولاده منهم ، ثم التقى بمولانا الشريف محمد الأمين الكورى بالأبيض .

وقد ذكر لى بعض الخواص من تلاميذه أن الحسيب النسيب السيد محمد أحمد المهدي أخذ عنه وأدخله الخلوة ورأى فيها من العجائب ما رأى .

ورحل من الأبيض واستوطن بلدة الأضيّة ولقن التوحيد والقرآن والطريق فى كل بلدة استوطنها ، وآل أمره إلى أن سكن فى أبي زبد وتوفى بها عام ١٣٤٤ هـ فى ١٣ رمضان ودفن بها رضى الله عنه .

وله كرامات كثيرة وأعظمها رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يقظة وفى أثناء الوظيفة ، وألف مولداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء منهاج السعادة بعد أن أمر

أحد تلاميذه ويدعى أحمد الضو باعتكاف ثلاثة أيام يستخير الله فيها فى تأليفه فوق لذلك بإذن خاص .

وأخبرَ بوفاة ولده بعد أربعين يوماً وكان غائباً مع أخواله بأمر هجليج فتوفى فى اليوم الذى حدده .

وأدخل بعض تلاميذه الخلوة وأخبره بأنه سيرى جيشاً وعلى رأسه قائد ويطلب منه أن يتعاهدا على الصلوة والمودة ومهما طلب منه مما هو فى استطاعته فإنه يقوم به ، وقال له : لا تلتفت إلى ذلك وقل له : إن مقصودى هو الله وأن يؤهلنى سبحانه لقربه ورضاه ، وحذره من الركون إلى إظهار الكرامات وحب الظهور وأعلمه أنه لا يجتمع صفاء السريرة مع المولى سبحانه إلا بالانحياش الكامل إليه عز وجل .

وبعد أن أقام فى الخلوة مدة ظهر له ما أخبره به فمال بقلبه إلى أن يتعاهد مع قائد الجيش الذى رآه ، وفى هذه اللحظة دخل عليه الشريف حسين الخلوة باكياً تنحدر دموعه من عينيه وقال له : هكذا يا فلان تخالف ما أوصيتك به ، هكذا يا فلان تخالف ما أوصيتك به ، هكذا يا فلان تخالف ما أوصيتك به .

ومن انتفع به الشريف الطاهر السنوسى الذى أخذ عنه حبيبنا العلامة الشيخ يوسف بقوى خليفة الشيخ سيدى أحمد التجانى المقيم بواد مدنى ، وقد التقينا ببعض تلاميذ الشريف حسين ولديهم العجائب من الأسرار التى أخذوها عنه ، وقد رأيت أحد تلاميذه الصالحين المدعو الشيخ يوسف بالرهة والحاج محمد العقلى القاطن قرب واد مدنى ، ومن نجباء أصحابه الذين انتفعوا به العلامة الأديب العفيف الفانى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المرحوم الشيخ إبراهيم تليب رحمه الله تعالى وكثيرون ممن لا تحضرنى أسماؤهم الآن .

ويتهى نسبه إلى سيدنا الحسن بن سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه .

محمد الحافظ التجانى